تاريخ الاستلام: 2018/09/15 تاريخ القبول: 2019/08/29

التسرب المدرسي في ظل النظام التربوي الجديد

–دراسة ميدانية ببعض إبتدائيات ومتوسطات وثانويات ولاية البليدة-

School drop out under the system The new educational

A field study at some of the – primary, intermediate, and secondary schools in Blida

د.نسيسة فاطمة الزهراء

جامعة خميس مليانة

أ. مونية زوقاي

جامعة البليدة 02

ملخص:

هناك مظاهر عديدة طفت على السطح منذ عدة سنوات منها ظاهرة الهروب المدرسي والتسرب لفترات طويلة فقد إتسع في الآونة الأخيرة نطاق ظاهرة التسرب الدراسي خاصة في دول العالم النامي التي تعاني شعوبه من أوضاع إقتصادية متردية لا تسمح بتوفير تكاليف التعليم، وتعاني أنظمته التعليمية من الجمود والتخلف وعدم كفاءة الموارد البشرية، وهذه الظاهرة لها إنعكاسها الخطير، فهي كالقنبلة داخل هذه المجتمعات فاتساعها يؤدي لزيادة الأمية وضعف الإمكانيات البشرية والتدهور الأخلاقي وغيرها من المشكلات الإجتماعية ومن هذا المنطلق قمنا بدراسة ميدانية للتعرف على المشكلة أسبابها والعوامل المؤدية لها وكيفية التوصل لحلول وعلاجات تساهم في القضاء عليها والتي تؤثر تأثيراً كلياً في بناء المجتمع، من هذا المنطلق نطرح التساؤل الآتي: ما هي أسباب التسرب المدرسي في ظل النظام التربوي الجديد؟

الكلمات المفتاحية: التسرب؛ التسرب المدرسي؛ النظام التربوي؛ التربية.

Abstract:

The phenomenon of school dropout has been widespread in recent years, especially in the developing world whose people suffer from economic conditions that do not allow for the cost of education, and its educational systems suffer from inertia, underdevelopment and lack of education. The efficiency of human resources, and this phenomenon has a serious reflection, it is like a bomb within these communities, the breadth leads to increase illiteracy and poor human potential and moral deterioration and other social problems and from this perspective we conducted a field study to identify The problem of causes and factors leading to them and how to reach solutions and treatments contribute to the elimination of which affect fully influence the building of society, from this point ask the following question: What are the reasons for dropping out of school under the new educational system?

Keywords: dropout; school dropout; education system; education

المؤلف المرسل: د.نسيسة فاطمة الزهراء،الإيميل: Samia84dz@gmail.com

مقدمة

التسرّب المدرسي ظاهرة من الظواهر السلبية التي ما فتئت تعيق مساعي وجهود وزارة التربية والتعليم وتقف في وجه السياسة المنتهجة للقضاء على الأمية والحدّ من خطرها. فهي مشكلة عويصة تجابه المجتمع والمدرسة الجزائرية على وجه الخصوص نظرا لكونها تمسّ بفئة كبيرة من المتمدرسين ذوي الأعمار الصغيرة سنويا ليجدوا أنفسهم في الشوارع فريسة لكلّ الزوابع والعواصف المهلكة دون أيّ مؤهّل أو مستوى مقبول يسمح لهم بالاندماج الفعلي في المجتمع الذي هم ينتمون إليه. وإن فعّالية أيّ منظومة تربوية في أيّ دولة مهما كان مستوى تقدمها وتطوّرها مرتبط بمدى قدراتها على مواجهة الإخفاق المدرسي الذي يعدّ عاملا أساسيا من عوامل التسرّب المدرسي وأحد أسبابه الرئيسية العاملة على إهدار المخططات التربوية وضياع الكثير من الاعتمادات المالية دون الوصول إلى الأهداف المرصودة والمنشودة.

تعتبر ظاهرة التسرب من المشكلات الرئيسية التي تعيق سير العملية التربوية في كثير من دول العالم وخاصة في بلدان العالم الثالث، كما يعتبر التسرب أيضاً في أي بلد مظهرا من مظاهر الإهدار التربوي وهو بالإضافة إلى ذلك يعود إلى جملة من الآثار السلبية على كل من المتسرب والمجتمع المحلي فالمتسرب يتحول إلى مواطن تغلب عليه الأمية ويصبح عضو غير منتج في بيئته مما يقلل من مستوى طموحاته ويضعف من مستوى مشاركته في بناء المجتمع.

ونحن في هذا البحث نحاول أن نسلط الضوء على بعض الأسباب الكامنة وراء هذه الآفة الخطيرة والوقوف على قدر حجمها إن كانت في تزايد أم في تراجع؟ وهل زالت بعض العوامل السابقة لهذه العلة أم أنها لا زالت قائمة وزادت عليها أسباب أخرى؟ وحاولنا اقتراح بعض الحلول ووصف بعض العلاج الذي إستقيناه من آراء بعض المربين والنفسانيين ومن خلال المراجع ومن آرائنا الشخصية التي تصورناها بعد المعاينة الميدانية لبعض التلاميذ المتسربين وبالمثل فإن المجتمع الذي يكثر فيه المتسربين يهبط في مستوى إنتاجه ويضعف في مستوى اقتصاده.

إن التسرب المدرسي من الظواهر الخطيرة التي تؤرق وتشغل بال المربين والأولياء على السواء وعليه فإنه من الصعب حصر أسبابه بدقة، ومسؤولية علاجه تقع على عاتق عدة أطراف (الأسرة، المدرسة، المجتمع) فعوامل التسرب المدرسي متعددة ومختلفة، متشعبة، متداخلة ومتفاعلة مع بعضها بحيث تشكل مجتمعة أو متفرقة ضغطا ونتيجة للتسرب من المدرسة والارتماء في عالم الجهل والأمية والانحراف، من خلال ما سبق نطرح التساؤلات الآتية:

-هل التسرب المدرسي عائد لظروفه الأسرية؟ أم أنه متعلق بالمدرسة ونظامها التربوي الجديد؟ أم أن للمجتمع بمختلف أطرافه ضلع فيه؟ أم أن للأمر أسباب أخرى؟ وما الطرق والوسائل لمعالجة هذه الظاهرة والحد من إنتشارها؟

الفرضيات:

-للعوامل الثقافية والاقتصادية للأسرة قسط وافر في عملية التسرب المدرسي.

-للبيئة الجغرافية الاجتماعية تأثير كبير في الظاهرة محل الدراسة.

-النظام التربوي غير المنسجم مع الواقع الاجتماعي (الحياة المدرسية) له ضلع بارز في تفشي الظاهرة.

-الأسرة، المدرسة، المجتمع، أطراف فاعلة في التقليل والحد من هذه الآفة التربوية والاجتماعية الخطيرة.

2-تحديد المفاهيم:

التسرب المدرسي: لغة: تسرب تسربا أي دخل حقيقة مثل تسرب الرجل في البلاد أي دخلها خفية وفي سرية [1].

السارب: الذاهب على وجه الأرض على غير الهدى جاء في لسان العرب لابن منظور ج3 معنى كلمة تسرب بمعاني كثيرة منها:

السرب حفير تحت الأرض، وقيل تحت الأرض، قد تسرب، وتسرب الحافر أخذه في الحفر يمينه ويساره.

السرب: الموضع الذي فد حلّ فيه الوحشي وجمع أسراب، وأسراب الوحش في سربه، والثعلب في جحره. سرب الإناء سال ما فيه من ماء[2] ومنه قولهم تسربت الأخبار إلى العدو أي إنتقلت خفية.

إصطلاحا: هو ترك الطالب الدراسة قبل نهاية السنة الأخيرة من المرحلة التعليمية التي سجل فيها ومن الملاحظ أن التسرب يكثر بين الفئات الأكثر تعرضا للتميز التربوي كالفقراء والإناث وسكان القرى، ويضطر كثير من الطلبة الفقراء إلى التسرب من المدرسة بحثا عن العمل، يعاني معظمهم من ظروف صعبة حيث لا تتوفر في بيوتهم الظروف الصحية الملائمة[3]

التسرب المدرسي هو ترك التعليم قبل إتمام مرحلة، أوترك الدراسة لسبب من الأسباب قبل نهاية السنة الأخيرة من المرحلة التعليمية التي سجل فيها أو خلال إحدى سنواتها، والتسرب له أسباب إجتماعية وثقافية واقتصادية وتعليمية وشخصية[4].

3-أنواع المتسربين من المدرسة:

وقد قدم فوس وزميله إليوت وفندلنج تصنيفا ثلاثيا للمتسربين:

الفئة الأولى: يطلق عليها فئة المجبر على التسرب وتشمل هذه الفئة الأفراد الذين تركوا المدرسة نتيجة الأزمات أو المشكلات الشخصية، أو الأسرية كالمرض أو إصابات الحوادث أو الضعف الجسمي أو وفاة أحد الوالدين أو كليهما أو فقر الأسرة المفاجئ نتيجة لتعرضها لكارثة معينة مثل هذه الظروف تعتبر خارجة عن إرادة هؤلاء الأفراد، ومن ثم يصعب السيطرة عليها.

الفئة الثانية: ويطلق عليها فئة المعاقين وتشمل هذه الفئة الأفراد الذين تركوا المدرسة نتيجة لضعف قدراتهم العقلية على القيام بالأعمال الضرورية المطلوبة للنجاح والتخرج من المرحلة التي التحقوا بها، ويمكن التعرف عليهم من درجاتهم المتواضعة في إختبارات الذكاء والتحصيل الدراسي أو رسوبهم أو عدم قدرتهم على القراءة أو الكتابة السليمة، ويطلق على هؤلاء الأفراد الذين لديهم القدرات على النجاح الأكاديمي ومن ثم يتركون الدراسة لأسباب غير القدرة على التعلم ومنها كثرة الغياب أو المشكلات السلوكية مع زملائهم أو إدارة المدرسة، أو نقص الدافعية للتعلم أو كراهية النظام الدراسي[5].

تبدو مظاهر التسرب المدرسي على التلاميذ باختيارهم أنواعا من السلوكات وهي تختلف حسب البيئة التي يعيشون فيها وهي:

البيئة المدرسية: يشتركون في القليل من الأنشطة الإضافية. ويمتلكون خبرات تحصيلية فاشلة أو غير ناضجة.

يفتقرون للعلاقات الايجابية مع معلميهم. يميلون للغياب المتكرر عن الدراسة، ينتقلون باستمرار من مدرسة إلى أخرى.

البيئة الأسرية: عدم تعبيرهم عن مشاعرهم وتفاعلهم مع أفراد الأسرة.

مع الأقران: يفتقدون لعلاقات حميمية إيجابية، يرتبطون بأقران ذوي عادات سيئة.

مفهوم الذات لدى المتسربين: يملكون ميولا سلبيا نحو أنفسهم. وهم خمسة أنماط: التلاميذ المحرومون الذين يعيشون عدم الاستقرار الاقتصادي والعائلي والعاطفي. الشباب ذوي الفكر المبدع الذين يعانون صعوبات التكيف مع المدرسة وهم يميلون ويهتمون بالفنون. أعضاء بعض الأقليات الملحوظة في المجتمع. التلاميذ الذين هم أزمة خانقة، يتعلق الأمر بشباب يعانون وضعيات خاصة وعائلية صعبة، أو الذين واجهتهم أحداث متأزمة، مثل: وفاة أحد الأقرباء أو المرض أو إنفصال الوالدين أو الحمل...[6]

4-عوامل التسرب المدرسي:

أ-العوامل التربوية: حتى ينشأ الطفل نشأة سليمة صحيحة ولا يحس بالتناقض بين المدرسة والأسرة يجب أن يكون هناك تقارب وتوازن بين البيئتين، ولعل هذا التباعد بين المدرسة ومحيطها يعتبر من أهم الأسباب المؤدية إلى العزوف عن المدرسة، والانقطاع عنها كلية، فالدراسات والبحوث تميل إلى التأكيد على أن المدرسة عبر نظامها وبنيتها ومقرراتها تمرر النموذج الأسري، ويمكن توضيح ذلك من خلال المدرسة بما فيها من برامج وتوقيت العمل والكتاب المدرسي الذي يتواصل برومانسية مع الواقع.

1-المدرسة: هي مؤسسة وجدت لتكوين وتنمية قدرات المتعلم الفكرية والجسدية والوجدانية عن طريق ما يتلقاه من علوم ومعارف ومهارات متنوعة مم يزيده قوة وقدرة وتوازنا عاطفيا وجدانيا يمكنه من أداء وظيفته في الحياة المدرسية فالمدرسة لا تنجح في عملها إلا إذا

أدت وظيفتها وربطت بين عمليتي التربية والتعليم. فانقطاع الصلة بينهما ينتج عدم التكيف وصعوبة مسايرة الدروس وهذا ما يؤدي إلى التسرب كما أن الجو المدرسي المشحون الذي يسوده الصراع بين الأطراف، والتسلط والإهمال يولد الحقد ويؤدي الى الفشل والكسل وبالتلاميذ إلى التشرد والهروب من هذا الجو المدرسي.

2-المنهاج الدراسي: إن البرامج والمضامين لا تراعي حاجات التلاميذ كلها ويدخل في هذا الجانب ظروف التمدرس وخصائص المتمدرس، وأساليب التقويم فهي مجتمعة أثرت على الجو العام للتربية وكان لها أثر في التسرب. هذه البرامج البعيدة عن واقع التلميذ، التعود عليه بالنفع، أضف إلى ذلك كثافتها عدم تبسيطها ليكون الطرح سهلا وشيقا وابتعادها عن التنويع لاستعمال الدروس وتتابعها زيادة غلى الحجم الساعي الكبير الذي يحرم التلميذ من التمتع بفترة راحة زيادة إلى تقليد أنظمة تربوية أجنبية دون مراعاة معطياتنا البيئية والاجتماعية والاقتصادية. فأصبحت منظومتنا حقل تجارب لغيرنا وحتى تكون ناجعة يجب تكييفها مع واقعنا المعيش، لذا ففشل المناهج في تحقيق الأهداف يؤدي حتما إلى فشل المنظومة التربوية.

3-المعلم: للمعلم دور كبير وفعال في قبول ورفض التلميذ المدرسة فلابد أن يكون المعلم محبا لتلاميذه مراعيا خصائصهم النفسية والعقلية والاجتماعية فكلما كان محبوبا من طرفهم كانت المادة الدراسية سهلة لتقبلها من طرفهم وبذلك يجب عليه أن يحرص على الذهاب إلى المدرسة ليستمتع بعمله، أم إذا كان متسلطا وقاسيا معهم فسوف يكون الوضع منعكسا.

إن التفاعل بين الطرفين يلعب دورا كبيرا عند الطفل فطريقة الدرس المملة تفتقر لعنصر التشويق تعد عاملا من عوامل التسرب حيث يتولد عنها سلوكات خاطئة واستعمال العنف بنوعيه ما يسبب هروبهم وعزوفهم عن المدرسة.

4-التقويم غير السليم: يعتبر التقويم أساس العملية التربوية وهو اتجاه جديد في التربية والكثيرون يظنون أن التقويم هو الاختبار أو الامتحان ولكنه جزء منها فهو يشمل المدرسة والمناهج والوسائل والمواقيت والمعلمين فهو يهدف إلى:

- تحديد مدى سرعة نمو التلميذ نحو الأهداف التي تسعى إليها المدرسة الجزائرية.
- تشخيص مواطن القوة والضعف في العملية التعلمية.
- مساعدة التلميذ في معرفة مستواه
- مساعدة الأولياء في التقرب من أبنائهم وفهم ميولاتهم وإمكانياتهم.(7)

ب-العوامل الاجتماعية:

1-العلاقات الاجتماعية المضطربة: تعد العلاقات الأسرية أساسا في تكوين الأسرة سعيدة متماسكة، فالوضع السيئ وسوء المعاملات الأسرية من حيث الفقر وانخفاض الدخل من شأنه أن يؤثر على تماسك الأسرة وتكاملها لما يعترضها من تجارب قاسية والتي يكون لها تأثير كبير وخاصة بين أفراد الأسرة الواحدة ومن مظاهر التفكك الأسري:

الطلاق: يعتبر الطلاق من أهم العوامل المؤدية إلى التفكك الأسري الذي يكثر انتشاره بين ذوي الدخل الضعيف فيحرم الطفل من العديد من الحاجيات كالعطف والرعاية والتوجيه، والتعرض لكافة التجارب القاسية نتيجة تأرجحه بين والدين متعارضين مما قد يؤدي إلى نتائج تعليمية سلبية والنفور المدرسي.

تعدد الزوجات: كلما كثر العدد كثرت المشاكل والمتاعب، فالحياة في ظل تعدد الزوجات وكثرة الأولاد مليئة بالخلافات فيتولد عنها إهمال الأطفال وعدم مراقبتهم والاهتمام بهم وقد تعرضهم لترك الدراسة والانحراف.

الإهمال بأشكاله المختلفة: قد يختفي العائل من حياة الأسرة هربا من مسؤولياتها التي لا يستطيع تحملها وتلبيتها بسبب البطالة أو انخفاض الدخل وقد يكون الإهمال لكثرة الأبناء حيث تفوق حاجاتهم القدرة الشرائية للوالد وفي كلتا الحالتين يتعرض الطفل إلى الإهمال خلقيا وبدنيا مما يسهل الطريق نحو التسرب (موقع على الشبكة العالمية للمعلومات...)

قسوة المعاملة: التي تنعكس على نفوس الأطفال بطرق مباشرة أو غير مباشرة في أسلوب القسوة حينا والإهمال حينا آخر من طرف الأولياء بسبب أو لأسباب تافهة نتيجة الحالة النفسية التي يعاني منها الوالدين، هذا الجو المشحون يدفع الصغار إلى الهروب من المدرسة، وانتهاج سلوكات عدوانية كالسرقة والاعتداء على الآخرين وقد تصل القسوة بالأولياء إلى عدم تسجيل الأطفال بالمدارس، ويتم توجيههم مباشرة لعالم الشغل لمساعدة الأسرة حيث كشف تحقيق ميداني أنجزه مرصد حقوق الطفل سنة 2007 حول تشغيل الأطفال شمل ثمان ولايات من الوسط وجود 2979 طفل عامل أعمارهم بين أربع وسبعة عشرة سنة ينشطون في مجالات بيع السجائر والرعي وأخطرها المتاجرة بالمخدرات[8].

الظروف البيئية والسكنية: إن رداءة طرق المواصلات في المناطق النائية وقسوة المناخ يضطر كثير من الأولاد إلى ترك الدراسة كما أن وجود بعض التجمعات السكنية في المدن أدى إلى ازدحام الصفوف وضعف الاتصال بين البيت والمدرسة وبالتالي إلى ازدياد حدة التسرب[9].

ج-الظروف الاقتصادية:

هناك مجموعة من المواطنين في الريف خاصة لا يسمح دخلها بالاستغناء التام عن أولادها في العمل رغم صغر سنهم، فضعف الحالة المادية للتلميذ وأسرته من أكبر المشكلات التي تحول بين توافق التلميذ وتفوقه في الدراسة حيث أن الجانب المادي له إرتباط وثيق بالتحصيل العلمي[10]

مستوى الدخل: إن عدم اهتمام الأب بالتلميذ من حيث تأمين اللباس الجيد والمناسب يولد لدى التلميذ شعورا بالنقص والحرمان فينزوي عن زملائه، بالتالي يسبب له كرها كبيرا للمدرسة. ونجد بعض الأسر نظرا لضعف دخلها تعجز عن تحمل شراء اللوازم المدرسية وبعض المتطلبات مما يجعلها تلجأ إلى استخدام الأبناء في العمل، وإجبار الفتيات عل الزواج المبكر.

الوضع المعيشي للأسرة: وهو الذي ينتج عنه عدم قدرتها على توفير متطلبات الحياة لأفرادها والذي يؤثر تأثيرا سلبيا على التحصيل الدراسي، ويتمثل في:

- حرمان البدن من حاجياته الضرورية بالتغذية الذي ينتج عن ضعف في الشخصية. فقلة الغذاء وسوء التغذية لها آثار على الحالة الانفعالية والاضطرابات الشخصية لان الإحساس بالأمن يبنى أساسا على إشباع العضوية.
- سوء الأحوال السكنية وازدحام السكن غير الصحي وغير المريح لا يساعد على النمو السليم للشخصية بدنيا ووجانيا وعقليا. واجتماعيا فقد تكون له آثارا مباشرة على تنشئته، ويعرف المسكن غير الصحي أنه ضيق، رطب، مظلم وغير كاف لا يوفر الراحة ولا يشبع حاجة الطفل من نوم أو جلوس مريح أو لعب.

د-الظروف الثقافية الدافعة إلى التسرب:

وهي ما يعرف بالمؤشرات الفكرية الإيديولوجية والتكنولوجية التي تحيط ببيئة التلميذ وتؤثر في اتجاهاته ومخرجاته السلوكية وإضفاء نمط معين من التفكير والتصرف حسب المستوى الثقافي ويعد هذا الأخير مؤشر ودليل عن التقدم والتطور إذا ارتقى، أما إذا كان عكس ذلك فهو مؤشر عن التخلف والانحطاط. إن انتشار الأمية لدى بعض الأسر بحيث لا تتوفر لديهم اتجاهات وسلوكات لتشجيع أبنائهم على ممارسة التعليم، كما أنّ ضعف المؤثرات الثقافية وانعدامها في البيئة المحيطة بالتلميذ والتي تتمثل في المكتبات والنوادي الثقافية.

المستوى الثقافي للمحيط الأسري: المحيط البيئي هو الذي يعيش فيه التلميذ من العوامل المؤثرة على تحصيل التلميذ خاصة المستوى الثقافي للأسرة[11]، فالأولياء ذوي المستوى الثقافي المنخفض، لا يستطيعون في أغلب الأحيان أن يوفروا الرعاية التعليمية الكافية لأبنائهم التلاميذ، بل قد لا يهتمون لحياة أبنائهم الدراسية.

يقول جون روبين (j.ROUBIN) بخصوص هذا، أما بالنسبة للمستوى الثقافي باعتباره أحد عوامل التسرب للتلميذ، فإنه يشيع ويظهر لدى الأسر ذات المستوى الثقافي الضعيف بحيث أن هذه الأسر من غير الممكن ان تساعد ابنها في دراسته بطريقة جيدة وصحيحة [12]

إنعدام الوعي الثقافي لدى بعض الأسر: إن انعدام الوعي الثقافي لبعض الأسر يجعلهم لا يدركون الأضرار التي تلحق بأبنائهم جراء انقطاعهم عن الدراسة والنظرة غير السليمة للتعليم التي إنتشرت في أوساط المجتمع بسبب البطالة المتفشية وصعوبة الحصول على فرص العمل.

التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال: إنّ التقدم التكنولوجي المتسارع أثر سلبا على مجتمعنا وذلك بتقليد الثقافة الأجنبية وبالتالي شكلت خطرا على النسق الثقافي والاجتماعي والديني فاستخدام الأنترنت من جانب الشباب بصورة خاطئة تشرد الذهن فتتكون لديه فكرة العزوف والهروب من المدرسة، والسعي وراء الاحتكاك بالمجتمعات الأخرى لجلب ثقافاتهم ونشرها بين أبناء المجتمع ويؤدي إلى وجود فروق بين الثقافة التقليدية والمستحدثة التي تشجع المتعلم على التسرب.

القنوات الفضائية العابرة للحدود: تعد القنوات الموجهة لمستهلكي الإعلام عموما ومستهلكي البرامج من فئات الصغار خصوصا حيث صار ذلك من أكثر وأعنف ما نراه يحصل خلال السنوات الأخيرة لما أحدثه من ضجة إعلامية حول برامج الطفولة المبكرة التي يعتبرها البعض ضرورية في بناء الشخصية غير أن هناك من أثبت العكس من خلال نتائج بعض الدراسات كالتسرب في مراحل تعليمية نتيجة الملل وروتينية الموقف التعليمي[13].

5-نتائج التسرب المدرسي:

إن التسرب المدرسي مشكلة تعاني منها كثير من الدول النامية والمتقدمة غير أن هذه المشكلة أقل حدة في الدول المتقدمة منها في الدول النامية.

1-النتائج الاجتماعية: إن المتسربين غالبا ما يتعرضون للبطالة لافتقارهم إلى المهارات الضرورية للعمل في المجالات المختلفة، وبذلك يشكل التسرب عبئا غير مرغوب فيه على حالة البطالة في المجتمع، كما أن التسرب يؤدي إلى حرمان المجتمع من بعض أصحاب القدرة العقلية الذين كان بإمكانهم أن يسهموا في نمو المجتمع وتطوره إذا أتيحت لهم فرص إستكمال تعليمهم[14]

إن التسرب دراسيا قد يعوق ما ترمي إليه المدرسة من إصلاح وتجديد اجتماعي وتغير مرغوب فيه، فمن المعروف أن وظيفة التربية لا تقتصر على نقل التراث الثقافي بل تتعداه غلى إحداث تغيرات واتجاهات مقصودة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفكريا وتمثل مراحل التعليم العام القاعدة الأساسية ولكل مرحلة أهميتها الخاصة فهي المدخل الوحيد الضروري لكل حركة إصلاح وتجديد اجتماعي.

وقد صنف بعض الباحثين آثار مشكلة التسرب على النحو التالي:

2-النتائج الاقتصادية:

-إن التلاميذ المتسربين سيرتدون على الأغلب إلى صفوف الأميين مما يستدعي إعادة الإنفاق عليهم من المبالغ التي ستخصص لخطة محو الأمية. كما يؤد إلى تحويل إهتمام المجتمع من البناء والإعمار إلى بمراكز الإصلاح والعلاج والإرشاد وإلى ازدياد السجون والمستشفيات.

-ضعف إنتاجية المتسرب في العمل لأنه غير مؤهل لدخول سوق العمل نتيجة لضعف نضجه الاجتماعي والتربوي وعدم تقديره لقيمة الوقت. وقد يتمثل ذلك في قلة الاهتمام بالإتقان في العمل وعدم الوعي بأهمية الصيانة والوقاية وعدم الرغبة في التعاون والعمل مع الجماعة.

-اعتبار المتسربين عاطلين عن العمل بسبب عدم قدرتهم على مواكبة التقدم الصناعي الهائل ومواكبة الصناعة الحديثة التي تفرض مستويات دنيا في الأيدي العاملة. زيادة وحدة الكلفة في التعليم ويظهر ذلك في إختلال التوازن بين ميزانية التعليم والميزانية العامة للدولة، فالتسرب يمثل خطرا على خطط التنمية للموارد الاقتصادية من خلال منظور التعليم كثروة بشرية وإستثمار مادي على المدى الطويل.

3-النتائج الثقافية: نجد أن عدد المتسربين يزيد من عدد الأميين حيث أن الكثير من المتسربين خاصة أولئك الذين لا يتموا دراستهم الابتدائية سيرتدون إلى الأمية نتيجة بعدهم الطويل عن المدرسة، وممارستهم أعمال بسيطة لا تتطلب منهم القراءة والكتابة، وعليه

فالتسرب يوجد فئات من أبناء الشعب الذين لم يكتمل نضجهم الاجتماعي، مما يجعلهم فريسة سهلة لمختلف الأمراض الاجتماعية، ومن بينها الانحراف الخلقي، وسيكون لفريق من هؤلاء المتسربين مواقف سلبية تجاه قيم المجتمع ومؤسساته وبيئته.

كما أن بعض هؤلاء المتسربين سيكون عامل هدم أو إضعاف للعلاقات الأسرية نظرا لضعف وعيهم التربوي والاجتماعي. حدوث بعض المشكلات النفسية تنفق عليها أموال طائلة. إستمرار الجهل والتخلف وبالتالي سيطرة العادات والتقاليد البالية التي تحد وتعيق تطور المجتمع، وإنتاج جيل فاشل.

6-واقع التسرب في الجزائر:

أفادت وزيرة التربية الوطنية نورية بن غبريت يوم الخميس من أكتوبر 2014 بالجزائر العاصمة أنّ1.67% من الذكور في الطور الابتدائي 11.86% في المتوسط قد تخلوا عن الدراسة خلال 2014/2013 مقابل 1.43 بالمائة لدى الإناث في التعليم الابتدائي و7.22% في مرحلة التعليم المتوسط.

من خلال هذه الإحصائيات نجد أن عدد المتسربين من الذكور أكثر من الإناث وإعتبرت الوزيرة أن النجاح لدى الإناث يعد الوسيلة الوحيدة لتحقيق مكانتهن الاجتماعية مشيرة إلى الوقت الكبير الذي تقضيه البنات في البيت والذي يساعدهن كما قالت على الحفظ والدراسة ومراجعة الدروس.

كما أشارت وتحدثت عن التحولات السياسية والاقتصادية التي عرفتها البلاد، ما إنجر عنه إستفحال ظاهرة التسرب بين التلاميذ المتمدرسين في مختلف الأطوار التعليمية حيث نشهد سنويا إنقطاع الآلاف عن مقاعد الدراسة والتوجه إلى الشارع، ومنه إلى الانحراف والضياع.

وتشير الإحصائيات الرسمية المتعلقة بالتسرب المدرسي بالنسبة للسنة الخامسة ابتدائي أنها تصل سنويا 7.73% و8% بالنسبة لمختلف أقسام العليم المتوسط فيما تبلغ حدود 23% بالنسبة للتعليم الثانوي.

ومنه فالقراءة الأولية لهذه الأرقام تنبئ عن واقع مزر للمنظومة التربوية، فرغم الإصلاحات التي تبذلها الدولة في القطاع، ومن خلال توفير الوسائل التي تضمن حق التعليم لكل طفل من نقل ومطاعم مدرسية...الخ، بكل مناطق الوطن إلا أن نسب الدخول المدرسي تبقى غير متكافئة عبر مختلف مناطق البلاد، حيث تقل حظوظ التعليم في المناطق النائية منها نتيجة الظروف الاجتماعية التي يعرفها الأولياء يعجز فيها الأولياء عن تحقيق متطلبات أبنائهم المدرسية سيما في ظل بعد المدارس عن السكن، وانعدام وسائل النقل المدرسي، وغالبا ما تكون الفتاة الضحية الأولى حيث تضطر إلى التخلي عن مقاعد الدراسة في سن مبكرة، وقد أشارت آخر الإحصائيات المتعلقة بالأمية في الجزائر أن 6% عند الأطفال منهم لا تتعدى أعمارهم 15 سنة، واقع أصبح ينذر بالخطر، ومعالجة الظاهرة تتطلب إجراءات صارمة وفعالة وتضافر للجهود وتعاون بين الأسر والمدرسة لتجنيب الأطفال الشارع مدرسة تكوين المنحرفين(وزارة التربية).

7-المنهج المتبع في الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي.

التقنية المستعملة (أدوات البحث): الاستبيان

- 40 إستبيانا موجها إلى مديري المؤسسات التربوية (19 استبيانا لمديري الابتدائي و14 إستبيانا لمديري المتوسط و07 استبيانات لمديري الثانوي).

-50 إستبيانا موجها إلى السادة المعلمين والأساتذة تتوزع على أبعاد متعددة (ذاتية، أسرية، مدرسية، إجتماعية...)

-100 إستبيان موجها إلى المتسربين تتوزع على أبعاد متعددة (ذاتية، أسرية، مدرسية، اجتماعية، وأمنية...)

مجتمع البحث: مديري المؤسسات التربوية، الأساتذة والمتسربون بأعمار وأجناس وبيئات مختلفة.

متغيرات الدراسة: الجنس، العمر والبيئة السكانية.

الاستبيان الموجه للسادة مديري المؤسسات التربوية:

جدول(1) يوضح التحليل الإحصائي المتعلق بالعوامل المدرسية

السنة الدراسية	المرحلة التعليمية	النسبة المئوية للمتسربين	الأسباب المؤدية
2013/ 2014	ابتدائي	%2	الرسوب المتكرر، الإهمال الأسري، الرغبة في العمل، تحفظ الأسرة على تعلم البنت. بعد المدرسة عن البيت، الظروف الأمنية، إجبار الأسرة للطالب على ترك الدراسة.
2014/ 2015		%3	
2015/ 2016		%0.8	
2013/ 2014	متوسط	%5	تجاوز سن الدراسة، بعد المدرسة عن مقر السكن، ضعف النتائج الدراسية، انعدام الرغبة في الدراسة، عدم متابعة الأسرة للمتمدرس، الرسوب المتكرر، سوء السلوك لدى المتمدرسين.
2014/ 2015		%6	
2015/ 2016		%0.6	
2013/ 2014	ثانوي	%4	سوء السلوك لدى المتمدرسين، ضعف القدرات العقلية، الخطوبة المبكرة، صعوبة المناهج، العزوف عن الدراسة، عدم قدرة الأسرة على توفير حاجيات الطالب، ظاهرة التفكير في الهجرة (الحرقة).
2014/ 2015		%5	
2015/ 2016		%5	

يلاحظ أن نسبة التسرب مرتفعة في المرحلة الثانوية مقارنة بالمرحلتين الأوليين وذلك راجع إلى خصوصية فئة هذه المرحلة (مراهقة، الرغبة في التوجه إلى سوق العمل).

التعليق العام: يرى السادة المديرين المستجوبين أن الحل والعلاج لهذه الظاهرة يكمن في:

- المساهمة الفعالة للمربين في توفير الجو المناسب لإقبال التلاميذ على التعلم.
- وجوب إدراك المربي لتركيبة تلاميذه داخل الحجرة، فيعامل كل فئة بما يخدمها.
- إقناع الجميع بخطورة آفة المخدرات على صحة ومستقبل الدارسين.
- المتابعة المستمرة للأسرة في جميع الأطوار.
- ضرورة توفر أخصائيين اجتماعيين ونفسانيين في المؤسسات التربوية.

الإستبيان الموجه للمربين (معلمين وأساتذة)

جدول2) يوضح التحليل الإحصائي للبعد الثاني المتعلق بالعوامل الشخصية:

			نعم%	لا %
01	عوامل ذات بعد شخصي	الإعاقة النفسية أو الجسدية.	56	21
02		ضعف القدرات العقلية للمتعلم.	66	15
03		الفشل الدراسي وتكرار الرسوب أو عدم وجود قابلية للتعلم.	79	7
04		الأمراض المزمنة.	30	33
05		الغيابات المتكررة وعدم متابعتها.	73	9
06		ضعف الثقة بالنفس والتوتر واستحواذ الخجل على المتعلم.	39	19
07		الانشغال بأعمال أخرى خارج المدرسة.	55	21
08		عدم الاهتمام بالدراسة.	82	4
09		حب إبراز الذات وحب التميز.	11	60

بالنظر إلى الجدول السابق (2) والذي يوضح نتائج التحليل الإحصائي لدرجات أفراد العينة على بنود هذا البعد يتضح لنا أن أكبر نسبة على التوالي وعليه فهما أهم الأسباب المؤدية للتسرب حسب إعتقاد السادة المربين.

جدول (3) يوضح التحليل الإحصائي للبعد الثاني المتعلق بالعوامل الأسرية

			نعم%	لا %
10	عوامل ذات بعد أسري	الإهمال والتفكك الأسري وتعدد الزوجات.	59	16
11		سوء الحالة الاقتصادية والمادية للأسرة.	32	31
12		المستوى الثقافي والتعليمي للأسرة.	16	57
13		كثرة الأعمال المنزلية التي يكلف بها الطالب بعد اليوم الدراسي ولاسيما البنات.	22	45
14		موت الأبوين أو إحدهما واضطرار الطالب إلى تحمل مسؤولية العائلة.	47	18
15		عدم تواجد الأب في المنزل باستمرار.	33	27
16		انشغال الأسرة وعدم متابعة دراسة ابنها لمعرفة أدائه الدراسي.	63	12
17		إجبار الأسرة للطالب على ترك الدراسة.	57	24
18		عدم وجود شخص يساعد الطالب والطالبة على الدراسة داخل الأسرة.	25	40

بالنظر إلى الجدول السابق (3) والذي يوضح نتائج التحليل الإحصائي لدرجات أفراد العينة البعد يتضح لنا أن هي أهم العوامل الأسرية المؤدية إلى التسرب وذلك حسب اعتقاد المربين دائما.

جدول (4) يوضح التحليل الإحصائي للبعد الثاني المتعلق بالعوامل الاجتماعية

			نعم %	لا %
19	عوامل ذات بعد اجتماعي	الظروف البيئية (بعد المدرسة، انعدام وسائل النقل...)	47	21
20		مصاحبة رفقاء السوء وسهولة الانقيادية.	78	4
21		التنقلات المتواصلة للأسرة وكثرة رحيلها.	27	15
22		العادات والتقاليد في مناطق معينة وخاصة عندما يتعلق الأمر بالفتاة في الريف.	49	18
23		الخطوبة والزواج المبكر بالنسبة للبنت.	45	24
24		النظرة الدونية إلى التعليم السائدة في عدد من الجهات.	36	19
25		قلّة اهتمام بعض الأولياء بالدّراسة وكذا أبنائهم نتيجة لتفشي بطالة الجامعيين.	53	18

بالنظر إلى الجدول السابق (4) والذي يوضح نتائج التحليل الإحصائي لدرجات أفراد العينة على بنود هذا البعد يتضح لنا نالا القسط الأكبر من العوامل المسببة للظاهرة محل الدراسة.

البعد المتعلق بعوامل أخرى: وحسب آراء عينة من المتسربين فإن العوامل الرئيسية هي كالتالي:

- مخالطة زملاء السوء.
- المعاملة القاسية من طرف الأساتذة والإدارة المدرسية.
- فقدان الثقة في النفس بسبب الإخفاق المتكرر.
- عدم تحقيق رغبة الطالب في التوجيه المدرسي.

الإستنتاج:

بعد جهد مضن من البحث الذي إعتمدنا فيه على بعض المراجع والاستبيانات توصلنا إلى فكرة عامة استخلصناها من نتائج البحث والتي صغناها كما يلي:

التسرب المدرسي هو مشكلة عويصة تعاني منها الجزائر شأنها شأن بلدان أخرى في العالم، وبما أن الجزائر تنتمي إلى مجموعة دول العالم الثالث فهي تفتقر إلى الوسائل والأجهزة التي تساعد على تطوير العملية التعليمية التعلمية وتساهم في التقليل من ظاهرة التسرب المدرسي.

وقد توصلنا في بحثنا إلى أن مجمل العوامل التي أدت إلى تفشي هذه الظاهرة وتفاقمها هي الجانب المادي للأسر الجزائرية، وكذا عدم توفر مناصب عمل لحاملي الشهادات الجامعية الأمر الذي جعل التلاميذ ينفرون من الدراسة، بالإضافة إلى عامل التفكك السري، وانتشار الآفات بين الصغار والكبار بسبب اليأس والإحباط، كما لا يفوتنا ذكر عامل مهم أنهك التلاميذ والمدرسين والأولياء وهو كثافة المناهج والحجم الساعي وصعوبة بعض المحتويات في جميع المراحل التعليمية.

بعد تشخيص الداء يمكن وصف الدواء. وانطلاقا من الأسباب والعوامل المذكورة آنفا يمكن أن نقول أن علاج التسرب المدرسي لا يقتصر على المدرسة وحدها بل أطراف كثيرة يمكنها أن تساهم فيه، وجهات عديدة ينبغي أن تشترك وتجتهد للقضاء على هذه الظاهرة لأن أسباب تسرب التلاميذ من المدارس متنوعة ومتشعبة حيث أنها ظاهرة خطيرة على المجتمع وتكامله وهذا يختلف تماما في المدرسة الابتدائية عنه في المدرسة المتوسطة وكذلك الثانوية، وأن التلميذ إذا تربى في بيت صالح متابع وفي مدرسة واعية تدعو بالحكمة والموعظة الحسنة يندر جدا تسرب التلاميذ منها إلا لعلة خارجة عن الإرادة.

خاتمة:

من خلال ما سبق نجد أن للتسرب المدرسي أثارا سلبية على حاضر التلميذ ومستقبله. ففي اللحظة التي يغادر فيها المدرسة قد يعود إلى الأمية التي أتى منها، وتنجر عنها أثار لا حصر لها على مستقبله النفسي، والاجتماعي، والاقتصادي. ونفس الأعراض سنلاحظها على المجتمع الذي يتواجد فيه أمثال هؤلاء.

في البلاد العربية عموما وفي الجزائر خصوصا جعل من تعداد المدارس والمتوسطات والثانويات وعدد المتمدرسين مؤشرا من مؤشرات التقدم بينما يغض الطرف عن عدد المتسربين الذي يزيد حجمه من سنة لأخرى وبدرجات مختلفة من منطقة إلى أخرى.

وفي الجزائر كما هو الشأن بالنسبة لدول العالم الثالث إنّ التسرب المدرسي مشكلة نراها تستفحل إستفحالا مقلقا سنة بعد سنة، وإن هذا يقتضي تكثيف البحوث التربوية الميدانية عن طريق الاستبيانات والاستقصاء والإحصاء والسياسة الرشيدة في بناء المناهج وتحديد المواقيت والعناية بمجال التكوين وذلك على مدى مسارات دراسية طويلة، في بيئات جغرافية إجتماعية متباينة باعتبار أنّ نقط القوّة ونقط البداية في بناء القدرة العملية والعلمية في أيّ بلد مرتبط كل الارتباط ببناء منظومة تربوية سليمة لا شوائب فيها.

وممّا يلاحظ أن المشكل أصبح يزداد حجمه نتيجة للنمو المتزايد في عدد التلاميذ خاصة في الدول التي تتبنّى تعميم التعليم وتسعى إلى خلق فرصه في نطاق واسع، والظاهرة أكثر حدّة وتفاقما سيّما في البيئات الريفية وخاصة عندما يتعلق الأمر بالإناث. ومن هنا فالتسرب المدرسي يؤدي إلى تأخير تحقيق إلزامية التعليم، وإلى ضياع الكثير من الجهود والأموال وتعطيل مسار الارتقاء بالمستوى التعليمي المنشود.

من خلال الاستعراض السابق لهذه المشكلة وأسبابها ووسائل علاجها نلاحظ وقبل كل شيء أن هذه المشكلة مشكلة إجتماعية في جوهرها قبل أن تكون مشكلة تدور حول فرد من الأفراد الأمر الذي يستلزم تكاثف الجهود الرامية إلى إحداث التكامل وزيادة التعاون إضافة إلى جعل الآباء يلعبون دورا فعالا إلى جانب دور المدرسة في العملية التعليمية.

وفي الختام نأمل أن نكون قد وفقنا لمناقشة ظاهرة التسرب المدرسي التي تصبح أحياناً إحدى المشكلات التربوية والتي بالتأكيد أنها ليست مشكلة غير قابلة للحل خصوصاً عند تضافر الجهود ووجود آليات مناسبة وخطط مدروسة وبدائل مناسبة.

اقتراحات قد تنقص من ظاهرة التسرب:

يتبادر إلى الذهن باستمرار التساؤل حول الحلول لهذه المشكلة الخطيرة التي تهدد مجتمعاتنا وكيف لنا أن نقلل من حدتها. هناك العديد من التوصيات الوقائية للحد من ظاهرة التسرب من وجهة نظر المتسربين وأولياء أمورهم والتي من الممكن على المدرسة الأخذ بها ومن أهمها:

أولا: تفعيل دور الأخصائي الإجتماعي والنفساني في مساعدة المتمدرسين

ثانيا: العدالة في التعامل وعدم التمييز بين التلاميذ داخل المدرسة.

ثالثا: منع العقاب بكل أنواعه في المدرسة (البدني والنفسي).

رابعا: مساعدة المعلم للتلاميذ لمعالجة ضعفهم.

خامسا: إشراك التلاميذ في نشاطات يحبونها.

سادسا: تنويع الأساليب التعليمية.

سابعا: العمل على توعية الآباء في كيفية معاملة الأبناء من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

ثامنا: وضع دراسات وحلول وضوابط حول أثر القنوات الفضائية والإنترنت والوسائل التكنولوجيا الأخرى. والبرامج التلفزيونية وإطلاعهم على التقنيات الجديدة الخاصة بعملية التربية والتعليم حتى يتسنى لهم هضم كل جديد حولها، خصوصا الذين يسكنون الأماكن الريفية.

على الرغم من العديد من الدراسات والجهود الكثيرة التي بذلت من أجل فهم ظاهرة التسرب وإيجاد الحلول المناسبة لها إلا أن هذه المشكلة لا تزال قائمة في كثير من بلدان العالم وحتى يومنا هذا لم يصل الباحثون إلى حل جذري لهذه المشكلة لكن هناك العديد من التوصيات الجيدة والمفيدة والتي نقترحها من أجل التنقيص من الظاهرة.

1-القيام بدراسات من حين لآخر لتوفير قاعدة معلومات إحصائية عن نسب وأسباب التسرب.

2-زيادة الإهتمام بظاهرة التسرب المدرسي ووضع الخطط والبرامج الكفيلة لمعالجتها قدر المستطاع.

3-إجراء دراسة من أجل تقييم المواد المقررة ونظام الاختبارات لتحديد مدى مناسبتها لقدرات ومستوى التلاميذ.

4 إيجاد آلية للتعرف على التلاميذ المعرضين لخطر التسرب ولتشجيعهم ورفع معنوياتهم وبذل كل جهد لمساعدتهم بالبقاء في المدرسة وإتمام تعليمهم.

5-تشجيع التلاميذ المتسربين للعودة إلى المدرسة وإيجاد حوافز للذين يعودون ويتمون دراستهم.

6-السعي لتطبيق نظام يجعل التعليم إلزامياً حتى المرحلة الثانوية.

7-المتابعة الدقيقة من قبل الأخصائي النفساني والاتصال بولي أمر الطالب للتشاور وتبادل الآراء والمعلومات حول مستوى التلاميذ والمصاعب التعليمية التي تواجه التلاميذ من أجل المساعدة في حلها.

قائمة الهوامش:

[1]- الإمام إسماعيل بن حمادي الجوهري، 2003، ص15.

[2]- إبن منظور، ص356.

[3]- عبد الله الدائم، 1978، ص15.

[4]- حسن شحاتة، 2003، ص102.

[5]-علي السيد محمّد الشيخي، 2002، ص302.

[6]-هادي مشعان ربيع، 2003، ص ص189-190.

[7]-رشيد لبيب، 1983، ص153.

[8]-عبد الكريم، 2001، ص12.

[9]- علي سلان، 2001، ص55.

[10]-البزار، 1975، ص133.

[11]-**محي الدين مختار**، 2005، ص46.

[12]-سعدية محمّد، 1984، ص12.

[13]-نعيم الرفاعي، 1982، ص144.

[14]-إسماعيل عبد الكافي، 2006، ص35.

قائمة المراجع:

1-إبن منظور، **لسان العرب**، الجزء 3.

2-عائشة بلعنترو وحبيبة بوكرتوتة، **التسرب المدرسي** -موعدك التربوي رقم 2001/6 – المركز الوطني للوثائق التربوية.

3-المهنا، إبراهيم عبد الكريم. (2001): **عوامل التسرب الدراسي لدى المنحرفين**، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، العدد 92.

4-عبد الجليل، حسام. (2003)، **التسرب المدرسي ودوره في عمالة الأطفال**، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، الجمهورية العربية السورية.

5-رسلان، علي. (1973): **مشكلة التسرب في المدرسة الابتدائية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط1.

6-البزاز، حكمت عبد الله، بني، جانييت. (1975): **التسرب في التعليم**، دار الجاحظ للطباعة، والنشر، بغداد، ط1.

7-مجلة المعرفة – العدد 64.

8-عبد الكافي، إسماعيل، (2006): **مشكلات الطفولة**، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة.

9-الرفاعي، نعيم. (1982): **الصحة النفسية**، مطبعة الرياض، الرياض، ط6.

10-بمادر، سعدية محمّد. (1984): **دليل الآباء والمعلمين في مواجهة المشكلات اليومية للأطفال والمراهقين**، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط2.